

تفسير ابن كثير

وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتیه ربه حکما قال ابن عباس : وهو العلم وقال عكرمة : هو اللب وقال مجاهد : هو القرآن وقال السدي : هو النبوة وقوله { وألحني بالصالحين } أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخره كما [قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار اللهم في الرفيق الأعلى] قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء [اللهم أحينا مسلمين وأمنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبديلين] وقوله { واجعل لي لسان صدق في الآخرين } أي واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به ويقتدى بي في الخير كما قال تعالى : { وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين } .

قال مجاهد وقتادة { واجعل لي لسان صدق في الآخرين } يعني الثناء الحسن قال مجاهد : كقوله تعالى { وآتيناه في الدنيا حسنة } الآية وكقوله { وآتيناه أجره في الدنيا } الآية قال ليث بن أبي سليم : كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة وقوله تعالى : { واجعلني من ورثة جنة النعيم } أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخره بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم وقوله { واغفر لأبي } الآية كقوله { ربنا اغفر لي ولوالدي } وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم } وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله شيئا } .

وقوله : { ولا تخزني يوم يبعثون } أي أجرتني من الخزي يوم القيامة يوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم وقال البخاري عند هذه الآية : قال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ^B عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة] وفي رواية أخرى : حدثنا إسماعيل حدثنا أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [يلقى إبراهيم أباه فيقول : يا رب إنك وعدتني أنك لا تخزيني يوم يبعثون فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين] هكذا رواه عند هذه الآية وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردا به ولفظه [يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه : فالיום لا

أعصيك فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأني خزي أخزي من أبي الأبعد فيقول ﷻ تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار [وقال عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير .

وقوله { ولا تخزني يوم يبعثون } أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد ﷻ حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلّم [إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة وقال له : قد نهيتك عن هذا فعصيتني قال : لكني اليوم لا أعصيك واحدة قال : يا رب وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فإن أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد قال : يا إبراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه قال : يا إبراهيم أين أبوك ؟ قال : أنت أخذته مني قال : انظر أسفل منك فنظر فإذا ذيح يتمرغ في نتنه فأخذ بقوائمه فألقى في النار] وهذا إسناد غريب وفيه نكارة والذيح هو الذكر من الضباع كأنه حول آزر إلى صورة ذيح متلطح بعذرتة فيلقى في النار كذلك وقد رواه البزار بإسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى ﷻ عليه وسلّم وفيه غرابة ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي صلى ﷻ عليه وسلّم بنحوه .

وقوله { يوم لا ينفع مال ولا بنون } أي لا يقي المرء من عذاب ﷻ ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهباً { ولا بنون } أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعاً ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان باﷻ وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال { إلا من أتى ﷻ بقلب سليم } أي سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن ﷻ حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن ﷻ يبعث من في القبور وقال ابن عباس { إلا من أتى ﷻ بقلب سليم } حبي أن يشهد أن لا إله إلا ﷻ وقال مجاهد والحسن وغيرهما { بقلب سليم } يعني من الشرك وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب المنافق مريض قال ﷻ تعالى : { في قلوبهم مرض } قال أبو عثمان النيسابوري : هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة